ترجمة
كلمة سعادة البروفيسور
بـيـزل آرثـر بـروت
الفائز بجائزة الملك فيصل العالمية
للطب (بالاشتراك) لعام 1428هـ/2008م
الأحد 1/3/1429هـ الموافق 9/3/2008م

خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز
صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز
ولي العهد نائب رئيس مجلس الوزراء
وزير الدفاع والطيران والمفتش العام
أصحاب السمو الأمراء
أصحاب الفضيلة والمعالي والسعادة

اسمحوا لي أن أُعبِّر عن عظيم شكري لمؤسسة الملك فيصل الخيرية للشرف الذي منحتني إياه باختياري فائزاً مشاركاً بجائزة الملك فيصل العالمية للطب لعام 2008م، والذي أعتبره علامة مضيئة في تاريخي المهني. إن لجنة الاختيار للجائزة تمنحها لمن ساهمت أعمالهم في إثراء المعرفة الطبية وخدمة الإنسانية. وقد قامت تلك اللجنة حتى الآن باختيار واحد وخمسين فائزاً بالجائزة في الطب منذ عام 1982م. وباستعراض أعمال الفائزين السابقين، وَمنهم على سبيل المثال الدكتور توماس ستارزل، يتبين أن من تمّ اختيارهم قد ساهموا سواءً على المستوى الشخصي أو الجماعي مساهمة عظيمة في تحسين الأوضاع الصحية لمئات الآلاف من البشر مما يُعدّ دليلاً واضحاً على نجاح هذه المؤسسة التي أسسها أولاد الملك فيصل تخليداً لذكراه.

ومن دواعي سروري أن يُضاف ما حدث من تقدُّم في علاج الجروح ليصبح جزءاً من إنجازات الفائزين بالجائزة. لقد تحقَّق ذلك التقدم نتيجة للجهود المشتركة لعديد من العلماء. وإنه ليسعدني أن يشاركني الجراحون والعلماء الآخرون ممن سعدت بالعمل معهم في مجال علاج الحروق هذا الشرف المتمثل في تقدير لجنة الاختيار للجائزة لأعمالنا.

وسوف أشير بإيجاز إلى بعض الإنجازات الرئيسة، ضمن العديد من الإنجازات العلمية الأخرى، كنموذج للتكامل بين الدراسات السريرية والدراسات المخبّرية في البحث الطبي، والتي تعدّ أفضل وسيلة لرعاية المرضى، حيث تتضافر جهود الجراحين المقتدرين في التعرف على المشكلة الإكلينيكية لضحايا الحروق، ثم تتم الاستعانة بالمتخصصين في المختبرات الطبية للاستفادة من مقدراتهم العلمية لوضع أفضل الحلول للتعامل مع المشكلة، ثم إعادتها إلى الجرَّاح لتطبيق العلاج وتقييم فاعلية الطرق العلاجية الجديدة، والتعرُّف على أيِّ مشاكل إكلينيكية أخرى تستجد أثناء فترة العلاج وإعادتها بدورها إلى المختبر وهكذا.

إن نُظم الإنعاش المبنيّة على الدراسات الفيزيولوجية، التي تم تطويرها بهذه الطريقة التكاملية، قد منعت حدوث الصدمة الناتجة عن الحروق الكبيرة، والمضاعفات الناتجة عن استخدام كميات مفرطة من السوائل، كما نجحت في منع الفشل العضوي المبكر، وقللت كثيراً من نسبة الوفيات. كذلك فإن استخدام تقانة المناظير في تشخيص الأذى التنفسي، مترافقاً مع الدراسات المخبرية للاضطرابات الوظيفية بالجهاز التنفسي، ساعدت في تصميم نظم علاجية للتقليل من المضاعفات التنفسية وتقليل نسبة الوفيات أيضاً. وساعد أيضاً التكامل بين الدراسات السريرية والمخبرية في معرفة التغيرات الأيضية المفرطة التي تحدث في الحروق الشديدة، والتغيرات الهرمونية العصبية التي تؤثر في حركة العناصر الغذائية، بحيث تتم الاستفادة من هذه المعلومات لتصميم برامج علاجية تعزِّز النشاط الأيضي في جسم المريض،

وتوفّر الظروف البيئية، والتغذية المناسبة للمريض، وإعادة توازنه الهرموني، مما يمنع مضاعفات الحروق ويساعد في تسريع الشفاء.

إن الثورة الحقيقية في علاج الجروح الناتجة عن الحريق وما يتبعها من أذى تُعدّ نموذجاً على تكامل البحوث المتعلقة برعاية ضحايا الحروق. ولا بد أن أشير هنا إلى توصيات الرازي، الطبيب العربي الشهير ما بين القرنين التاسع والعاشر الميلاديين، حول علاج الجروح الناتجة عن الحريق بالماء البارد وصفار البيض وبعض زهورات العطارة كعلاج لحماية الأنسجة وتغطية موضع الحرق، وقد تجاهلها الأطباء الأوروبيون والأمريكيون وفضلوا عليها مواد مهيجة، كثيراً ما كانت تسبب المزيد من الأذى. ولكن، في الستينيات من القرن الماضي، اتضح أن تلوث الجروح ببعض الميكروبات الفتاكة هو العامل الرئيس لوفاة المصابين بالحروق الخطيرة، وقد أدت الدراسات المخبرية إلى تطوير أنواع جديدة و فاعلة من العقاقير المضادة للميكروبات، وتلك العقاقيرلا تقوم بالسيطرة على العدوى في الجروح الناتجة عن الحريق فحسب، بل تسمح أيضاً بالتدخل الجراحي المبكر لتغطية مكان الحرق كما كان يرى الرازي. من ناحية أخرى فإن زيادة الناجين من الموت بسبب الحريق أوجدت مشكلة أخرى هي عدم وجود عدد كاف من المتبرعين في الوقت المناسب لإجراء زراعة الجلد وسدّ مكان الجروح العميقة والتلف.ً وقد جاء الحل لهذه المشكلة من خلال تطوير بدائل صنعية للجلد، وزراعة الخلايا الجلدية لتغطية الحروق في وقت مبكر. فضلاً عن ذلك فإن قيمة الجائزة سوف تفيدنا في الدراسات التي نجريها حالياً حول تأثير الجرعات الكهربائية المنخفضة لتسريع شفاء الجروح وسبل العلاج الأخرى. إن هذه التطورات في مجملها قد انعكست وما زالت تنعكس بالنفع على ضحايا الحروق وتزيد من فرص بقاءهم على قيد الحياة والتغلب على المضاعفات.

ختاماً فإن التعليم والتدريب المهني لمن يأتي بعدنا من متخصّصين في طب الحوادث وعلاج الحروق مهم جداً، لكي تساهم إنجازاتهم بدورها في تحقيق المزيد من التطوير، ومواصلة البحث العلمي، وعلاج الحروق ورعاية ضحاياها. ومما يسعدني أن واحداً وأربعين من مديري مراكز الحروق في الولايات المتحدة والدول الأخرى قد تم تدريبهم في معهد البحوث الجراحية.

أكرر شكري لمؤسسة الملك فيصل الخيرية ولجنة الاختيار لجائزة الملك فيصل العالمية للطب، ويسعدني الانضمام بكل فخر إلى الفائزين الآخرين بها